الفصل الأول

الكلمة والكلام والكلم

معنى الكلمة :

ذكر الزَّجَّاج في توجيه قوله تعالى : ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [1] أنَّ الكلمة قد تُطلَق ويُراد بها الكلام ، وهذا نصُّ عبارته :

" معنى (السواء) معنى عدل ، ومعنى (كلمة) : كلام فيه شرح وقصَّة وإن طال ، وكذلك يقول العرب للقصيدة : كلمة .

يُروى أنَّ حسَّان بن ثابت الأنصاري كان إذا قيل له : أنشد ، قال : هل أنشدت كلمة الحويدرة ؟ [2] يعني قصيدته الَّتي أوَّلُها :

بكرتْ سميَّة بكرةً فتمتَّعي [3] ... " [4] .

تنوين العوض :

ذكر الزجاج في كتاب ما ينصرف تنوين العوض في نحو جوارٍ ، وذلك في باب عنوانه : باب الياءات والواوات اللاتي هن لامات في ما ينصرف وما لا ينصرف ، ومما ورد في هذا الباب قوله : " اعلم أن جميع هذا الباب إذا لم ينصرف مثاله من الصحيح فذلك المثال من المعتل مصروف في الرفع والجر ، وذلك نحو (قواضٍ) و(دواعٍ) ، وكذلك (عذارٍ) و(صحارٍ) .

فإذا كان في حال النصب امتنع من الصرف فقلت : رأيت قواضيَ ودواعيَ ، وهؤلاء

---

(١) آل عمران /٦٤ .

(٢) الحويدرة : شاعر جاهلي مضري من قيس عيلان غلب عليه هذا اللقب ، انظر : الأغاني ٧٣/٣ .

(٣) عجزه : وغدت غدوَّ مفارقٍ لم تربعِ ، انظر : الخزانة ٤٣٧/٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٤/١ ، ٤٢٥ .

عذارٍ وصحارٍ مصروف ، ورأيت صحاريَ وعذاريَ غير مصروف .

قال سيبويه [1] : " إن التنوين دخل هذا الباب عوضًا من الياء " ، يريد حركة الياء فيما أحسب .

وقال محمد بن يزيد : التنوين عندي عوض من حركة الياء لا غير ، وذلك أن الياء كان يجب أن تكون في هذا الباب ساكنة غير محذوفة .

الأصل في هذا عند النحويين : جواريٌ بضمة وتنوين ، ثم يحذف التنوين لأنه لا ينصرف فيبقى : جواريُ يا هذا ، بضمة الياء ، ثم تحذف الضمة لثقلها مع الياء فيبقى (جواري) بإسكان الياء ، ثم تدخل التنوينة عوضًا من الضمة فيصير (جواريْن) ، فتحذف الياء لسكونها وسكون التنوين ، فيبقى (جوارٍ) " [2] .

ثم قال في آخر هذا الباب : " وقال سيبويه [3] : ما كان مثل عذارى ومدارى وصحارى فإنك تمنعه الصرف ولا تنون ؛ لأن الياء انقلبت ألفًا فلم يجز أن تقول عذارًا، ومدارًا فتأتي بالنون عوضًا ؛ لأن الألف انقلبت من الياء وثبتت الألف فلم تأت بالتنوين عوضًا من الياء .

ومن قال إن التنوين عوض من الحركة أيضًا لم يلزمه أن يدخل التنوين في (عذارَى) و(مدارَى) ؛ لأن الحركة لم تثبت قط مع هذه الألف ، لأن الألف لا تكون إلا ساكنة ، والحركات كلها تدخل الياء ، فلذلك صار التنوين عوضًا من الحركة فيما كان من هذا الباب بالياء وامتنع مما لفظه الألف " [4] .

وتحدَّث الزَّجَّاج عن هذا التنوين في توجيه قوله تعالى : ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [5] فقال : " زعم سيبويه والخليل أنَّ النون هنا عوض من الياء ؛ لأن (غواشي) لا تنصرف { والأصل فيها غواشي بالياء والضمّ ، إلاَّ أنَّ الضَّمَّة تُحذف لثقلها في الياء فيبقى (غواشي) بسكون الياء } [6] فإذا ذهبت الضمَّة أدخلت النون عوضًا منها ، كذلك فسَّر أصحاب سيبويه ، فكأنَّ سيبويه يذهب إلى أنَّ النون عوض عن ذهاب حركة الياء ، والياء سقطت لسكونها وسكون النون ، فإذا وقفت فالاختيار أن تقف بغير ياء فتقول : غواش ؛ لتدلَّ على أنَّ الياء كانت تُحذف في الوصل ، وبعض

(١) انظر الكتاب ٣/٣١٠ . (٢) ما ينصرف ص١١٢ . (٣) انظر الكتاب ١/٣٠٩ ، ٣١٠ .
(٤) ما ينصرف ص١١٥ . (٥) الأعراف /٤١ .
(٦) كذا من الإغفال ، وهو أولى ممَّا ورد في المطبوع .

العرب إذا وقف قال : غواشي ، بإثبات الياء ، ولا أرى ذلك في القرآن ؛ لأنَّ الياء محذوفةٌ في المصحف ، والكتاب على الوقف " [1] .

تنوين التنكير :

تحدَّث الزَّجَّاج عن تنوين التنكير في موضعين :

الأوَّل : في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [2] فقال : " في قوله (أف) سبع لغات : الكسر بغير تنوين وبتنوين ، والضمّ بتنوين وبغيره ، وكذلك الفتح، وفيه لغة سابعة لا تجوز في القراءة وهي (أفي) بياء ، فأمَّا الكسر فلالتقاء الساكنين ، و(أف) غير متمكِّن بمنزلة الأصوات ، فإذا لم ينوَّن فهو معرفة ، وإذا نُوِّن فهو نكرة بمنزلة (غاقٍ غاقٍ) في الصوت ، والفتح لالتقاء الساكنين أيضًا ، والضمُّ لأنَّ قبله مضموم حسنٌ أيضا ، والتنوين فيه كلّه على جهة النكرة " [3] .

والثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [4] فقال : " فأمَّا الكسر بغير تنوين فلالتقاء الساكنين ، وهما الفاءان في قولك (أف) ، وإنَّما أصل الكلمة السكون لأنَّها بمنزلة الأصوات ، وحذف التنوين لأنَّها معرفة لا يجب إعرابها ، وتفسيرها : النتن لكم ، ومن نوَّن جعله نكرة بمنزلة (تبًّا لكم) وكسر لأنَّ أصل التقاء الساكنين الكسر ، ولأنَّ أكثر الأصوات مبنيٌّ على الكسر نحو غاقٍ وجيرِ ... ويجوز الفتح لالتقاء الساكنين لثقل التضعيف والكسر ، ويجوز الضمُّ لضمَّة الألف كما قالوا : ردَّ يا هذا وردُّ وردٌّ بالكسر ، ومن نوَّن مع الضمّ فبمنزلة التنوين مع الكسر " [5] .

وفي كتابه (ما ينصرف ...) عقد بابا للحديث عن المركبات ، وتحدث فيه عن نحو عمرويه وسيبويه وغيرهما مما يلحقه تنوين التنكير فقال : " ومن هذا الباب الأصوات التي تجعل وما قبلها اسمًا واحدًا، نحو (عمرويه) و(سيبويه) ، فزعم سيبويه [6] أن هذا الأخير أعجمي بني مع ما قبله فحط درجة عن (خمسة عشر) فكسر آخره لالتقاء الساكنين ، وهو غير منون ، فإذا أردت النكرة نونته فقلت : هذا عمرويهٍ وعمرويهٍ آخر ،

---

(١) معانيه ٣٣٨/٢ ، ٣٣٩ . (٢) الإسراء /٢٣ . (٣) معانيه ٢٣٤/٣ . (٤) الأنبياء /٦٧ .
(٥) معانيه ٣٩٨/٣ . (٦) انظر الكتاب ٣٠١/٣ ، ٣٠٢.

وهذا زيلويهِ يا هذا ؛ لأن (زيلويه) نكرة ، وزعم أن هذا كقولهم (عاءِ وحاءِ) في الزجر، قال : قال الخليل : كأنك إذا قلت (عاء وحاء) غير منون فقد قلت (الاتباعَ) ، وإذا قلت (عاءٍ وحاءٍ) فقد قلت : اتباعًا " [1] .

مجيء الأمر بلفظ الخبر :

ذكر ذلك الزَّجَّاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ [2] ، حيث قال : " قُرئت على ضربين : (لا تضارُ والدة) برفع الراء على معنى (لا تكلِّف نفس) على الخبر الَّذي فيه معنى الأمر ، ومن قرأ (لا تضارَّ والدة) بفتح الراء فالموضع موضع جزم على النهي ... " [3] .

أمر الواحد بلفظ الاثنين :

ذكر ذلك الزَّجَّاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [4] فقال : " قوله عزَّ وجلَّ : (ألقيا) الوجه عندي ـ والله أعلم ـ أن يكون أمرًا للملكين ؛ لأنَّ (ألقيا) للاثنين ، وقال بعض النحويين : إنَّ العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين فتقول : قوما ، واضربا زيدًا يا رجل ، ورووا أنَّ الحَجَّاج كان يقول : يا حرسي اضربا عنقه ، وقالوا : إنَّما قيل ذلك ؛ لأنَّ أكثر ما تتكلَّم به العرب فيمن تأمره بلفظ الاثنين نحو :

خليليَّ مرَّا بي على أمِّ جندبِ ... . [5]

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... ... [6]

وقال أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد : هذا فعل مثنى توكيدًا ، كأنَّه لمَّا قال : ألقيا ، ناب عن قوله : ألقِ ألقِ ، وكذلك عنده : قفا ، معناه : قف قف ، فناب عن فعلين فثنَّى ، وهذا قول صالح ، وأنا أعتقد أنَّه أمر الاثنين والله أعلم " [7] .

---

(١) ما ينصرف ص١٠٨. (٢) البقرة /٢٣٣ . (٣) معانيه١/٣١٣. (٤) سورة ق /٢٤ .

(٥) صدر بيت من الطويل لامرئ القيس ، وعجزه كما في مختارات الشعر الجاهلي ص٢٩ : * نقضِّي لبانات الفؤاد المعذَّبِ * وكذلك الرواية في ديوانه ص٤١ .

(٦) صدر معلَّقة امرئ القيس ، وعجزه : * بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ * ، ديوانه ص١١٠ .

(٧) معانيه ٥/٤٥ ، ٤٦ .

مجيء الاسم المفرد دالاً على الكثرة ، والجمع مراداً به المفرد :

ذكر ذلك الزجّاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [1] ، حيث قال : " (فنادته الملائكة) و(فناداه الملائكة) الوجهان جميعًا جائزان ؛ لأنَّ الجماعة يلحقها اسم التأنيث ؛ لأنَّ معناها معنى جماعة ، ويجوز أن يعبَّر عنها بلفظ التذكير كما يُقال جمع الملائكة ، ويجوز أن تقول : نادته الملائكة وإنَّما ناداه جبرائيل وحده لأنَّ المعنى : أتاه النداء من هذا الجنس ، كما تقول : ركب فلان في السفن وإنَّما ركب سفينة واحدة، تريد بذلك : جعل ركوبه في هذا الجنس " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [3] : " المعنى : ويولون الأدبار ... وكذا المعنى في ﴿جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [4] : وأنهار ، والاسم الواحد يدلُّ على الجميع فيجتزأ به من الجميع ، وأنشد سيبويه والخليل :

بها جيف الحسرى فأمَّا عظامها فبيضٌ وأمَّا جلدها فصليبُ [5]

يريد : وأما جلودها ، وأنشد :

*** في حلقكم عظم وقد شجينا *** [6]

المعنى : في حلوقكم عظام ، وكما قال :

كلوا في نصف بطنكم تعفّوا فإنَّ زمانكم زمنٌ خميص [7]

المعنى : كلوا في بعض بطونكم " [8] .

مجيء الجمع مراداً به المثنَّى :

ذكر ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [9] ، وهذا نصّه : " قال جميع أهل اللغة إنَّ الأخوين جماعة ؛ لأنَّك إذا جمعت واحدًا إلى واحد

---

(١) آل عمران /٣٩ . (٢) معانيه ١/٤٠٥ . (٣) القمر /٤٥ . (٤) القمر /٥٤ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لعلقمة بن عبدة كما في ديوانه ص٢٦ ، وشعراء النصرانية ١/٥٠٣ ، وانظر : الكتاب ١/٢٠٩ ، والمقتضب ٢/١٧٣ ، وكتاب الشعر ص٣٠١.

(٦) من مشطور الرجز ، للمسيّب بن زيد مناة الغنوي ، وانظره في ابن يعيش ٦/٢٢ .

(٧) البيت من الوافر، ويروى صدره في الكتاب١/٢١٠ :... في بعض بطنكم ... ،وانظره في الخزانة٧/٥٥٩ .

(٨) معانيه ٥/٩٢ ، ٩٣ . (٩) النساء /١١ .

فهما جماعة ، ويقال لهما : إخوة ، وحكى سيبويه [1] أنَّ العرب تقول : قد وضعا رحالهما ، يريدون : رحليهما ، وما كان الشيء منه واحدًا فتثنيته جمع ؛ لأنَّ الأصل هو الجمع ، قال الله تعالى : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[2] " [3].

(١) الكتاب ٢/٤٩ .
(٢) التحريم /٤ .
(٣) معانيه ٢/٢٢ .

obeikandl.com